Sirte University Journal of Humanities: Vol.15. Issue1. June 2025.

Sirte University Journal of Humanities (SUJH) مجلة جامعة سرت للعلوم الإنسانية

Source Homepage: http://journal.su.edu.ly/index.php/Humanities/index

https://doi.org/10.37375/sujh.v15i2.3672

التماسك النصّي في كلام السيدة عائشة في الترحُّم على والدها

وفاء سعيد يوسف شهوان

Wafaa-sh@bau.edu.jo

كلية عمان الجامعية للعلوم المالية والإدارية، الأردن

تاريخ الوصول: 2025.7.19 – تاريخ الموافقة: 2025.10.18 – تاريخ النشر: 2025.12.1

الملخّص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن عناصر التماسك النصّي وأثرها في ربط أجزاء النصّ وتحقيق التماسك بين أجزائه وتلاحمها، وذلك من خلال التطبيق على نصّ لغوي عربي وهو نصّ كلام السيدة عائشة رضي الله عنها في الترحُّم على والدها الصديق رضي الله عنه، وذلك في خطبتين لها.

وقد سرتُ في هذا البحث متّبعةً خطوات المنهج الوصفي بإجراءاته المتضمنة الوصف والتحليل والتفسير والاستنتاج في محاولة لكشف أبعاد تضمن النصوص اللغوية العربية لعناصر التماسك النصّي من منظور الدراسات البلاغية الحديثة، ونستجلي صدى الصياغة وحسن التأليف وبراعة التركيب في إضاءة المعنى من منظور نقدي.

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد ثم مبحثين وخاتمة ومسرد المراجع والمصادر.

وقد أسفر البحث عن نتائج، من أهمها: ضرورة متابعة التطور اللغوي بتطبيق المنجزات اللغوية الحديثة على اللغة العربية لبيان أوجه التلاقي بين اللغات المتعددة.

الكلمات المفتاحية:

السبك، النصّ، السيدة عائشة، الصدّيق، الترحُّم.

Textual Cohesion in Lady Aisha's Words of Mercy Toward Her Father

A Linguistic and Critical Study

Wafaa Saeed Yousef Shahwan
Associate Professor (A), Department of Basic Sciences
Amman College of Financial and Administrative Sciences,
Al-Balqa Applied University, Jordan

Abstract

This research aims to uncover the elements of textual cohesion and their impact on linking the text's parts and achieving cohesion and cohesion between them. This is done through an application to an Arabic linguistic text, namely the words of Lady Aisha (may God be pleased with her) in supplication for mercy for her father, Abu Bakr (may God be pleased with him), in two of her sermons (peace be upon her).

I followed the steps of the descriptive method, with its procedures including description, analysis, interpretation, and deduction, in an attempt to uncover the dimensions of the elements of textual cohesion contained in Arabic linguistic texts from the perspective of modern rhetorical studies. The study also analyzes the aesthetics of phrasing, composition, and structure in illuminating meaning from a critical perspective.

The research consists of an introduction and a preface, two chapters, a conclusion, and a glossary of references and sources.

The research yielded results, the most important of which are: the necessity of monitoring linguistic development by applying modern linguistic achievements to the Arabic language to demonstrate the convergence between various languages.

Keywords

Cohesion, text, Lady Aisha, As-Siddiq, supplication for mercy

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن الدراسات النصّية منطلق معرفي حديث، تقوم دعائمه على أساس التخلي عن دراسة الجملة بوصفها الوحدة القابلة للتحليل اللغوي، إلى دراسة أوسع ونظرة أعمق وهي دراسة التتابع الجملي أو ما يسمى بالنصّ بوصفه

© Sirte University 2025

الوحدة الأجدر بالتحليل اللغوي، حتى أضحى النظر إلى النصّ باعتباره وحدة دلالية متكاملة، وذلك وفق معطيات جديدة.

وهذا الانتقال المنهجي نحو الدراسة النصّية في إظهار أوجه التماسك بين وحدات النصّ اللغوية، والكشف عن علاقات الربط اللغوي، والترابط الدلالي، والعلاقات الإحالية والإشارية يوجبه الفهم الحق للظاهرة اللسانية، فضلا عن كونه اتجاها يتسق مع الطبيعة العلميّة للدرس اللساني الحديث.

وعلى الرغم من اختلاف وجهات نظر الباحثين في تعريف النصّ وفقا لتباين المرجعيات والمنطلقات التعريفية التي تناولته (الجياشي، 2017: 14)، فقد استقر لدى المهتمين بعلم لغة النصّ ضرورة توافر عدد من المعايير الأساسية حتى يكون النصّ وحدة مستقلة في ذاتها، صالحة لإطلاق لفظ "النصّ" عليها، وهذه المعايير سبعة وفق ما اقترحه دي بو جراند هي:

المعيار الأول: معيار السبك "التماسك" وهو مناط الدراسة هنا.

المعيار الثاني: معيار الحبك.

المعيار الثالث: معيار القصدية.

المعيار الرابع: معيار القبول أو المقبولية، **خامسها:** معيار التناص، **وسادسها:** معيار الإعلامية، **وسابعها** معيار المقامية (حسان، 1998: 103).

وقد اخترت للدراسة والبحث تطبيق معيار واحد من هذه المعايير وهو معيار " السبك " بوصفه أحد أهم معايير الدراسة النصّية على نصّ لغوي عربي، متمثل في خطب السيدة عائشة رضي الله عنها في الترحُّم على والدها الصديق رضي الله عنه.

أسباب اختيار الموضوع

تعددت أسباب اختيار هذا الموضوع، أهمّها ما يأتي:

أولا: مواكبة سنن التطور، خاصة في الميدان اللغوي من جهة تطبيق منجزات الدرس اللساني الحديث على النصوص العربية.

ثانيا: الرغبة في الكشف عن الجذور التراثية للدراسة النصّية ومدى أصالتها في التراث اللغوي العربي.

ثالثا: الكشف عن معالم السبك النصّي ورصد مظاهره وآلياته في خطب السيدة عائشة في الترحُّم على والدها وفق المنظور اللغوي الحديث.

رابعًا: الالتفات إلى كلام الصحابيّات وتبيان جمالياته لغة ونحوًا ونقدًا.

منهج البحث

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي والتحليلي والاستقرائي منطلقات إجرائية لدراسة السبك بوصفه أحد أهم معايير علم اللغة النصّي، وكذلك الآليات التي يعتمد عليها.

خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة وتمهيد، ومبحثين، ثم خاتمة وفهرس بالمصادر والمراجع.

المقدمة.

التمهيد.

المبحث الأول: الخطبة الأولى للسيدة عائشة في الترحُّم على والدها، ومظاهر السبك النصّي فيها.

المبحث الثاني: الخطبة الثانية للسيدة عائشة في الترحُّم على والدها، ومظاهر السبك النصّي فيها.

الخاتمة.

التمهيد

السبك النصّي مفهومه وحضوره في التراث النقدي

أولا: المفهوم اللغوي للسبك

السبك في اللغة: مصدر للفعل"سبك" الذي يدور معناه حول عملية إذابة الذهب والفضة ووضعهما في شيء يجعلهما في وضع التماسك والقالبية، يقول ابن دريد: "سبكت الْفضة وَغَيرهَا أسبكها سبكا: إِذا أذبتها، والمصدر: السبك، وَالْجمع: سبائك، والسبيكة: الْقطعَة من الْفضة وَغَيرهَا إِذا استطالت" (ابن دريد، 1987: 339).

ثانيا: المفهوم الاصطلاحي

نتيجة لتباين واختلاف المرجعيات والمنطلقات المعرفية، تعددت تعريفات النصّ في الدراسات اللغوية الغربية والعربية على السواء، ومن الممكن تصنيف تعريفات النصّين للنصّ إلى ثلاثة أصناف (صنفٍ اعتمدَ في التعريف على تكوّنَ النصّ من بنى سطحية، وثانٍ يرى أنَّ مجالَ النصّ هو الدلالة والمضمون، وثالث دمج بين الصياغة والدلالة) وعدَّها وسيلةً تتحقق بها استقلالية النصّ (أبو زنيد، 2009: 13).

ففي حين أشار "هاليداي ورقية حسن" إلى أن كلمة نصّ تستخدم في علم اللغويات لتشير إلى أي فقرة منطوقة أم مكتوبة مهما كان طولها شريطة أن تكون وحدة متكاملة" (خطابي، 1991: 13).

نجد "رولان بارت" يرى أن النصّ: "نسيج من كلمات منسقة من تأليف معين، بحيث يفرض شكلا وحيدا ثابتا، والنصّ من حيث هو نسيج فهو مرتبط بكتابة، لأنه رسم بالحروف، والكتابة هي السمة الأساسية للنصّ" (يورقي، د.ت: 80).

ومنهم من حدده بأنه: مجموعة من الأفعال الكلامية التي تتم بين مرسل ومتلقٍ، وقناة اتصال بينهما، وهدف يتغير بتغير مضمون الرسالة، وموقف اتصال اجتماعي يتحقق فيه التفاعل (بحري، 1997: 133).

كما يعرف بأنه "حدث تواصلي يلزم لكونه نصًّا أن تتوفر له سبعة معايير مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد منها، وهذه المعايير هي:

السبك أو الربط النحوي، والحبك أو التماسك الدلالي، والقصد وهو الهدف من إنشاء النصّ، والقبول أو المقبولية وتتعلق بموقف المتلقي من قبول النصّ، والإخبارية والإعلام أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمه، والمقامية وتتعلق بمناسبة النصّ بالموقف، والتناص" (الفقي، 2000: 30).

وقد سرى هذا الاختلاف في تعريف النصّ إلى النقاد العرب؛ فعرفه طه عبد الرحمن بأنه: "كل نصّ هو بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات"، مشيرا إلى أن هذا الربط النصّي قد يكون بعلاقات معنوية بين جملتين، أو بين أكثر من جملة، وقد يكون ربطًا معجميًّا. كما قد تربط الجمل فيما بينها ربطًا مباشرًا "الربط القريب"، أو ربطًا تتوسطه علاقات أخرى تصل بين جمل أخرى "الربط البعيد" (عبدالرحمن، 2019: 35). وانتهى محمد مفتاح إلى أنَّ النصّ: "مدوَّنة حدث كلامي ذي وظائف متعدّدة" (مفتاح، 1986: 19، 20).

ومن خلال ما تقدم من تعريفات للنصّ يمكن القول بأن السبك هو أحد المعايير المعتمدة في دراسة النصوص وتحليلها، ويطلق عليه العديد من المصطلحات الأخرى مثل (الاتساق، والتضام، والترابط الرصفي) وغيرها.

وقد عرفه دي بو جراند بأنه: "مجموعة من الإجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع، يؤدي السابق منها إلي اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط" (حسان، 1998: 103).

كما يعرف بأنه: "التماسك الشديد بين الأجزاء المشكّلة لنصّ أو خطاب ما، ويُهتم فيه بالوسائل اللغويّة الشكليّة التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء الخطاب، أو الخطاب برمته" (خطابي، 1991: 5).

فالسبك إذن وفق هذه التحديدات مجموعة الإجراءات والوسائل المحققة للترابط بين الأجزاء المشكلة لنصّ أو خطاب ما، من الجهة الظاهرة الشكلانية، وهي: الوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برُمَّته" (المرجع السابق: 5). وعن طريق هذه الوسائل تتحقق خاصية الاستمرارية الظاهرية في النصّ.

وترجع أهمية السبك في كونه يسهم بشكل فعال في وضوح العلاقة بين عناصر الجملة، والجمل المتصلة بها مما يجعل الكلام مفيدًا، كما أنه يمنع اللبس في أداء المقصود، ويعمل على استقرار النصّ وثباته وذلك بعدم تشتيت الدلالة الواردة في النصّ (بحيري، 1997: 141) (الفقي، 2000: 74).

ثالثا: السبك النصّي في التراث العربي

حفل التراث العربي بالكثير من إجراءات التماسك "السبك" النصّي التي تعتمدها الدراسات اللسانية الحديثة، حيث أدرك اللغويون العرب أن النصّ يجب أن يكون وحدة واحدة، كما ذكروا بعض أسس السبك النصّي: ومن ملامح التصريح بذلك ما يلي: ذكر الجاحظ (ت 255هـ) أن الحكم للشعر بالجودة إنما هو ناتج من تلاحمه وتماسكه، فيقول: "أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أُفرِغ إفراغًا جيدًا، وسبك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان" (الجاحظ، 1423هـ: 67).

فقد ربط الجاحظ في نصّه السالف جودة الشعر بكونه مترابط الأجزاء، وهو عين السبك بالمنظور الحديث.

ويذكر ابن قتيبة (ت 276هـ) من أقسام الشعر: ضربا تأخّر معناه وتأخّر لفظه، جاعلا من أسباب ذلك مجيء البيت مقرونا بغير جاره، ومضموما إلى غير لفقه (ابن قتيبة الدينوري، 1423هـ: 90).

وقد أشاد الآمدي (ت 370هـ) بشعر البحتري؛ لأنه حسب وجهة نظره صحيح السبك، حسن الديباجة، ليس فيه سفسافٌ ولا ردئ ولا مطروح، ولهذا صار مستوياً يشبه بعضه بعضاً» (الآمدي، 1994: 3)، ويؤكد الآمدي على أن البلغاء والفصحاء استجادوا واستحبوا من النثر والنظم ما دل بعضه على بعض، وكان بعضه آخذا برقاب بعض (المرجع السابق: 297).

كما تحدث أبو هلال العسكري (ت 395هـ) عن أسباب حسن الكلام فيقول: "الكلام- أيدك الله - يحسن بسلاسته، وسهولته، ونصاعته، وتخيّر لفظه، وإصابة معناه، وجودة مطالعه، ولين مقاطعه، واستواء تقاسيمه، وتعادل أطرافه، وتشابه أعجازه بهواديه، وموافقة مآخيره لمباديه" (العسكري: 1419: 55).

كما ذكر أبوهلال أن كافة أجناس الكلام، تحتاج إلى حسن التأليف، وجودة التركيب، وحسن الرّصف، حتى توضع الألفاظ في مواضعها، وتمكّن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير، والحذف والزيادة إلا حذفا لا يفسد الكلام، ولا يُعمَّى المعنى، وتضمّ كل لفظة منها إلى شكلها، وتضاف إلى لفقها (المرجع السابق: 161).

وهذه ملاحظات جد دقيقة في أهمية وجود الانسجام والتلاؤم بين الأبيات الشعرية بوجود المناسبة بينها، وهي بعينها صلب ما ينادي به دارسو السبك النصّي الحديث. كذلك أسهم مؤلفو الإعجاز القرآني في تجلية أهمية السبك عن طريق ذكرهم للمناسبة بين الآيات والسور القرآنية.

وما يهمنا هنا قوة السبك عند السيدة عائشة رضي الله عنها التي جاءت بقوة الاختيار المعجميّ للمفردات، وتقديم مدلولات الألفاظ، وتبيان للإشارات الدينية والنفسية الواردة فيها، وإنها تدلل على ذكائها وفطنتها وصفاء ذهنها عند صياغة خطبها، والتي تؤكد ملكاتها القويّة في النقد والتذوق في آن واحدة.

المبحث الأول

الخطبة الأولى للسيدة عائشة في الترحّم على والدها ومظاهر السبك النصّي فيها

أولًا: سبب النصّ والسياق المقامي.
ثانيًا: مظاهر وأدوات السبك في النصّ.
أ. الوحدة الموضوعية في النصّ.
ب. مطلع النصّ وأثره في السبك النصّي.
ج. الربط بالإحالة.
د. الربط بالعطف.
هـ. الربط بالشرط.
و. التماسك المعجمي.
1. التكرار.
2. التوازن التركيبي.

المبحث الأول

الخطبة الأولى للسيدة عائشة في الترحُّم على والدها ومظاهر السبك النصّي فيها

أورد ابن طيفور في بلاغات النساء قوله:

"حدثنا هرون بن مسلم بن سعدان قال: حدثنا العتبي عن أبيه قال: ذكرت عائشة أباها فاستغفرت، ثم قالت:

إنَّ أبي كان غَمْرًا شاهِدُه، غَمْرًا غَيْبُه، غمرًا صَمْته، [**أصلُ الغَمْرِ**: إزالةُ أَثَرِ الشيءِ، ومِنْه قيلَ للماءِ الكثيرِ الذي يُزيلُ أَثَرَ سَيْلِهِ: غَمْرٌ وغامِرٌ، وبه شُبِّهَ الرَّجُلُ السَّخيُّ، والفَرَسُ الشَّديدُ العَدْوِ (لسان العرب: مادة: غمر)] إلاَّ عن مفروضٍ ذَلَّلَهُ عند الحقّ إذا نزل به، يتمحَّج الأمرَ هُوَيْناه [**مَخَجَ بِالدَّلْوِ وَغَيْرِهَا مَخْجًا، ومَخَجَها**: خَضْخَضَها، وتَمَخَّجْتُ الماءَ: إذا حَرَّكْتَهُ، وَهَوَّيْنَا الأَمْرَ: سَهَّلْنَاهُ، مادة: (مخج)]، ويَرِيع إلى قُصَيْراه [**يَرْجِعُ إِلَى غَايَتِهِ، تُرِيدُ أَنَّهُ يَأْخُذُ الأُمُورَ بِالرِّفْقِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى غَايَتِهِ**]، إن استُفْزِز أسْجَح [**سَجِيحٌ**: لَيِّنٌ سَهْلٌ]، وإن تعزّز عليه طأمَن [طَامِنٌ: سَكَنَ، مادة: (طمن)]، طيارٌ بفِناء المعْضلة [سَرِيعٌ فِي تَدْبِيرِ مُعْضِلَاتِ الأُمُورِ، باب (مرا)]، بطيءٌ عن مُماراة الجليس [المِمارَاةُ: المجَادَلَةُ]، منْشئٌ لمحاسن قومه، موقورُ السَّمعِ عن الأذَاة [**يَتَصَامَمُ عَنْ سَمَاعِ الأَذِيَّةِ، وَالمَوْقُورُ**: الذَّاهِبُ السَّمْعِ، وَالتَّعْبِيرُ كِنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ سَمَاعِهِ لِلْخَنَا وَالْفُحْشِ، باب (وقر)]. يا طولَ حُزني وشجاي [**الشَّجَا**: الحُزْنُ وَالْقَهْرُ، باب (شجا)]! لَمْ أَلْعُ على مثكولٍ بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لَوْعي على أبي [لَمْ تَجْزَعْ عَلَى حَبِيبٍ مَفْقُودٍ بَعْدَ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– جَزَعَهَا عَلَى أَبِي بَكْرٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–]، طأمَنَ المصائب رُزْؤه [أَنْسَاهَا هَذَا الرُّزْءَ لِعِظَمِهِ]، وكنتُ بعد النبيّ – صلى الله عليه وسلم – لا رُزْء أحْفِلُه؛ [لَا أُبَالِي بِهِ]، وعاء الوحي، وكافل رضاء الرب، وأمين ربّ العالَمين، وشفيع مَن قال: لا إله إلاَّ الله، ثم أنشأَتْ تقول:

إِنَّ مَاءَ الجُفُونِ يَنْزَحُهُ الهَمْ مُ وَتَبْقَى الهُمُومُ وَالأَحْزَانُ

[**مَاءُ الجُفُونِ**: مَاءُ الدُّمُوعِ]

لَيْسَ يَأْسُو جَوَى المَرَازِئِ مَاءٌ سَفَحَتْهُ الشُّؤُونُ وَالأَجْفَانُ"

[**يَأْسُو**: يُدَاوِي، **وَالجَوَى**: الحُزْنُ، **وَالمَرَازِي**: مَنْ مَاتَ خِيَارُهُمْ، **وَسَفَحَتْهُ**: صَبَبْتَهُ، **وَالشُّؤُونُ**: مَجَارِي الدُّمُوعِ]

أولا: سبب النصّ والسياق المقاميّ:

سبب النصّ: قلب مفعم بالحب لأب عظيم تذكرته الابنة الوفية التقية النقية، فاستغفرت ربها، وقول الراوي: (ذكرت عائشة أباها فاستغفرت)

دلت هذه الجملة على أن أبا بكر – رضي الله عنه – قد مات وأن النصّ سيكون ترجمات لذكرى جاشت في نفسها فترجمت تلك العواطف إلى جمل وصفت بها أبا بكر – رضي الله عنه –، فالنصّ له إحالة خارجية فقائلته هي أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنه – وهذه الإحالة تبين الظروف والملابسات التي ساهمت في إنشاء النصّ ولها دور في فهم النصّ واتساقاته؛ إذ يصعب فهم النصّ بعيدًا عن سياقه التاريخي والنفسي.

ثانيا: مظاهر وأدوات السبك في النصّ:

أ. الوحدة الموضوعية وأثرها في سبك النصّ:

الوحدة الموضوعية هي الأساس في تماسك النصّ وفهمه، وهذه الوحدة متسقة مع السياق المقامي الذي درج فيه النصّ؛ فالذكرى جاشت بالحديث عن كرمه وسماحته، فوصفت أباهَا بالكرم والتَّسامح في علانيته وسرّه، ونطقه وصمتِه، إلاَّ عن أمر مفروض، فإن الحقَّ لا تَسامُحَ فيه، وهو – رضي الله عنه – يأخذ الأمور بالرِّفق حتى يصل غايته، وهو سَمْح الخلق لا يغضب إلا للحقّ، فإن غولب في المخاطبة سكَن، وهو سريعٌ في تدبير معضلات الأمور؛ ولذلك لم تجزع أم المؤمنين – رضي الله عنها– على حبيبٍ مفقود بعد النبي جزعها على أبي بكر– رضي الله عنه –، وهي مهما أبكتها الهموم تنفذ الدموع وتبقى الهموم والأحزان كما هي، وهذا هو الحال عند فقد العظام الأخيار، فالنصّ كله فكرة واحدة مترابطة وذلك كان الأساس في تماسك النصّ وترابطه؛ فيتلاءم بتركيبته مع دلالته الشعورية التي ندركها فنستشعر حِسّ الانفعال النفسي فيها.

ب. مطلع النصّ وأثره في السبك النصّي:

جاء المطلع في قولها – رضي الله عنها –:

(إنَّ أبي كان غَمْرًا شاهِدُه، غَمْرًا غَيْبُه، غمرًا صَمْته)

متماسكا في ذاته رابطا كل أجزاء النصّ به، وهذا سمت ثابت في طريقة صناعة النصوص عندها؛ إذ تبدأ – رضي الله عنها – بالحديث إجمالا عن والدها في مطلع النص، لتتنامى الأفكار من هذا المطلع فكأن المطلع هو الجذر الذي ينمو النصّ من خلاله، وبقية الجمل ما هي إلا فروع وأوراق متناسقة متشابكة مع جذرها، إنه الإدراك الجمالي والتذوق اللذان يتعلقان بالصياغة والسبك.

وكانت أولى لَبِنات التماسك في هذا النصّ أداة التوكيد (إن) لأنها تحتاج إلى اسم وخبر، فتصدير المطلع بهذه الأداة والكلام من فم أم المؤمنين – وهي مصدقة فيما تقول – من شأنه استثارة كافة الحواس لمعرفة الخبر المراد تأكيده فإذا ما تم الكلام وكان الخبر عن خلق السماحة والكرم عند أبي بكر، دار في الذهن سؤال هو: ما الداعي لهذا التأكيد وهل ثم متردد أو شاك في الخبر؟ أقول: إن طريقة أم المؤمنين في صياغة الكلام عن أبي بكر – رضي الله عنه – فيها دائما كثير من التأكيد والاحتشاد؛ وذلك مراعاة لوقع الكلام في نفسها وإيمانها التام بصفاته وأمجاده، وقد أضاء قول الراوي (تذكرت أباها) معنى قد يوحي إلى سبب من أسباب تأكيد الخبر، فكأنها أحست تناسيا لفضائل أبي بكر خاصة أن النصّ بعد مماته بفترة فجاءت بهذا التأكيد مراعية حال النسيان الذي قد يعتري البعض، تلك هي قيمتها من حيث هي تجربة منطوية على ذاتها؛ فمن طبيعة الموقف الجمالي للنصّ في صميمه أن يتخلى عن النشاط المستمر المتجه إلى المستقبل بعامل النسيان مع الزمن.

ج . الربط بالإحالة

شكلت الإحالة دورا مهما في تماسك النصّ والحفاظ على تتابع الجمل بلا تفكك واضطراب، وتمثلت الإحالة في النصّ في عود الضمائر على اسم (إن) في مطلع النصّ في قولها (إن أبي كان غمرا.....) ومرجعية الضمائر في أغلب جمل النصّ كلها إليه وهذا يظهر ويقوي التماسك بين أجزاء النص، فالضمير الغائب المستتر في قولها: (كان غَمْرًا شاهِدُه) والهاء في (شاهده) ضمير يعود على (أبي) وكذا الضمير في (غيبه) و(صمته) وفي (به) وفي قوله (يتمخج الأمر هويناه) والضمير الغائب المستتر (هو) عائد على (أبي) في قولها:

(يتمخَّج الأمرَ هُوَيْناه)

(ويَرِيع إلى قُصَيْراه)

(إن استُفْزِز أسْجَح)

(وإن تعزّز عليه طأمَن)

وكذلك جاء ضمير الغائب المحذوف في قولها عن أبي بكر:

طيارٌ بفِناء المعْضلة

بطيءٌ عن مُماراة الجليس

منْشئٌ لمحاسن قومه

موقورُ السَّمعِ عن الأذَاة

والضمير المتصل في (رُزْؤه) ولما ذكرت النبي – صلى الله عليه وسلم – أحالت إليه بالضمير المحذوف فقالت:

(وعاء الوحي،

وكافل رضاء الرب،

وأمين ربِّ العالَمين،

وشفيع مَن قال: لا إله إلاَّ الله)

فأبو بكر الصديق حاضر في كل جمل النصّ لأن مرجعية الضمير إليه ممّا شد كافة جمل النصّ وربط بين مفاصله؛ فزاد من القيمة الجمالية في المظهر العام للنص، تلك القيمة التي جعلتنا نُعجَب بالطريقة التي يتلاءم بها تركيب النصّ مع وظيفته وهدفه. إنها تميّز جيدًا دقة المعاني وهذا علوٌّ في العلم.

كما أن التعبير بالضمير المحيل حقق الإيجاز فلم يذكر اسم أبي بكر كل مرة مما صفى العبارة وقواها، وجعل العين تقرأ الجملة وتنظر إلى غيرها لتقف على مرجع الضمير، وهذا هو غاية ما يتحقق به التماسك النصي، فكل الجمل من خلال الضمائر ناظرة إلى بعضها البعض؛ لأن السابق لا بد له من معرفة اللاحق ليقف على فهم الجملة. إن مثل هذه التراكيب كثيرًا ما تكون ذات قيمة مُضافة، تبين عمق الصلة في التماسك النصّي الذي دافعه العامل النفسي فيشمله بالقيمة الجمالية.

د . الربط بالعطف

ومن أدوات التماسك النصّي أدوات الربط المتمثلة في حروف العطف والملاحظ أن النصّ السابق توالت فيه الجمل وكان الرابط في أكثرها معنويا هو ما بين الألفاظ والجمل من روابط ذاتية لم ترد في النصّ لا (الفاء) و لا (ثم)، ووردت الواو رابطة بين بعض الجمل، وإن استعمالها وتوظيفها تحديدًا يُعدّ فنًّا من فنون البلاغة وصنعة من صنع الإبانة (وتُعدّ "الواو" عند النحاة هي الأصل في العطف، لكونها "أم باب حروف العطف") (الأنصاري، د.ت: 18-21) (غيطي، 2021). كما في قولها عن والدها –رضي الله عنه–:

(يتمخَّج الأمرَ هُوَيْناه،

ويَرِيع إلى قُصَيْراه)

وقولها: (إن استُفْزِز أسْجَح

وإن تعزّز عليه طأمَن)

وعطفت بالواو ما ذكرته من أوصاف النبي – صلى الله عليه وسلم – في قولها: (وعاء الوحي،

وكافل رضاء الرب

وأمين ربِّ العالَمين

وشفيع مَن قال: لا إله إلاَّ الله)

الواو هي أصل حروف العطف، وهو رابط من الروابط اللفظية التي تكون عمادًا في تركيب الجمل، وآصرة من أواصر تلاحم المعاني في الجملة، وهي أحد هذه الروابط اللفظية المعنوية، لها خصائصها واستعمالاتها ودلالاتها بناء على ما يقتضيه السياق والبناء التركيب الذي ترد فيه (هاني، 2023).

وإذا كان الربط بالعطف قد لعب دورا في تآخي النصّ واتساقه فعلى الجانب المقابل نجد أن النصّ أقيم على نمط عال من الاتحاد والتآخي بين الألفاظ والجمل، ففي قولها: "إنَّ أبي كان غَمْرًا شاهِدُه، غمْرًا غَيْبُه، غمرًا صَمْته إلاَّ عن مفروضٍ ذَلَّهُ عند الحقِّ إذا نزل به"، فترابطت الجمل وتتابعت ولم يذكر عاطف وذلك؛ لأن (إن) الناسخة ربطت كافة أجزاء الجملة؛ إذ امتد خبرها متداخلا مع خبر كان فهو ربط بعد ربط وشد وثاق بعد شد وثاق.

ثم جاءت أداة الاستثناء (إلا) وهي من أدوات الربط؛ إذ هي ناظرة إلى ما قبلها وإلى ما بعدها فهي تحتاج مستثنى وهو قولها: (إلاَّ عن مفروضٍ ذَلَّهُ عند الحقِّ إذا نزل به) وتحتاج مستثنى منه وهو قولها: (غمره صمتا) وكأنها بهذا الاستثناء الذكي تحترس عما أثبتته إجمالا في قولها: (غمره صمتا) فقد ذكرت سعة صمته ثم بينت أن صمته هذا وإن كان سمة من سمات الصديق إلا أنه من باب الترفع وليس سكوتا عن حق.

ثم كان الفصل لكمال الاتصال في قولها:

(يتمخَّج الأمرَ هُوَيْناه، ويَرِيع إلى قُصَيْراه)

فالجمل بينها من الاتصال والتلاحم ما يجعل وجود (الواو) إقحاما لا حاجة لنا به، فالجملة السابقة بينت سعة كرمه وسماحته في كل أحواله في حضوره وغيابه، وكذا في صمته إلا عن كلمة الحق.

ثم كان من تمام هذا البيان قولها: (يتمخَّج الأمرَ هُوَيْناه، ويَرِيع إلى قُصَيْراه) فهو يأخذ الأمور بالرِّفق حتى يصل غايته، فهذه الجملة وما عطفت عليها تأكيد وتقرير لما سبق في الجملة الأولى، وامتدادا لهذا الاتصال والالتحام جاء قولها: (إن استُفْزِز أسْجَح، وإن تعزّز عليه طأمَن).

فالفصل لكمال الاتصال والجمل تأكيد وبيان لرفقه وحلمه فهو إن استغضب لا يغضب بل لينا سمحا وإن غولب سكن وتغافل، وما زالت رضي الله عنها في حديثها عن أبي بكر والكلام يسترسل منها في شحنات وجدانية متحدة فجاء الفصل لكمال الاتصال في قولها:

(طيارٌ بفِناء المعْضلة، بطيءٌ عن مُماراة الجليس، منْشئٌ لمحاسن قومه، موقورُ السَّمعِ عن الأذَاة)

والجمل كلها بيان لحال والدها، ورسم لصورة الخلافة الرشيدة الحكيمة في تعاملها مع الأمور والأحداث، فهو رجل الدولة الذي يقودها في صعابها، وهو البسيط في قوة، وهو الساكن في ثورة، وهو المحسن في خفاء، وهو المتغافل في وعي. إنه الصِّدّيق رضي الله عنه.

وهكذا فقد امتدت هذه الصورة من أول النصّ فلا حاجة إلى رابط لفظي وقد تكامل لهذه الجمل عناصر أخرى من عناصر التماسك النصّي منها الطباق بين (طيار) و(بطيء) وكذلك حذف المسند إليه (هو) وذلك طلبا للإيجاز وتصفية للعبارة وشدا لوثاق النصّ وتركيزا على الصفة المراد إثباتها لأبي بكر، فهو رجل الدولة الذي يقوم بأعبائها، ويتصدى للمصاعب، وهو لا يماري السفهاء وهو

السبب في كل محاسن قومه وهو لا يعطي أذنه لسماع الأذى وذلك تغافلا منه؛ لانشغاله بما هو أعظم. هذا العمق الانفعالي عند السيدة عائشة رضي الله عنها منح النصّ حيويّة وتأثيريّة، ورفع من قيمته.

هـ- الربط بالشرط

جاءت أدوات الشرط رابطة بين أجزاء النصّ في قولها:

(إن استُفْزِز أسْجَح، وإن تعزّز عليه طأمَن)

فمن شأن أداة الشرط أن تحتاج إلى جملة شرط وجملة جواب وهذا من شأنه مد جسور التواصل والتلاقي في بنية النص. وهنا ارتبطت القدرة التعبيرية بالوسيط السياقي الناتج عن الربط بالشرط.

و . التماسك المعجمي

1 . التكرار

من مظاهر أدوات التماسك في هذا النصّ التماسك المعجمي ومن مظاهره التكرار" وهو إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو بالترادف، وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك بين أجزاء النص" (الفقي، 2000: 20)، والعبرة هي للمعاني لا للألفاظ والمباني.

فقولها: (إنَّ أبي كان غَمْرًا شاهِدُه، غمْرًا غَيْبُه، غمرًا صَمْته إلاَّ عن مفروضٍ ذَلَّلهُ عند الحقِّ إذا نزل به)

فكلمة (غمرا) تكرر على السمع الصفة التي أرادت ترسيخها لوالدها، وهو الكرم والسعة في كل أحواله فهو وصف لا ينفك عنه، في علانيته و سره وفي نطقه وصمته، وهذا التكرار عنصر مهم عن طريقه يتم تدعيم التماسك النصي؛ إذ في تكرار هذا العنصر المعجمي (غمرا) تنبيه لأسماع المتلقين على أهمية هذه الكلمة في النص، وإذا كان ذكر الضد أو الكلمات المتجانسة من عناصر السبك والحبك في النصّ فإن إعادة اللفظ حروفا ووزنا في النصّ يكون أكثر عطاء لإحداث التماسك النصي، فمن خلال إعادة الذكر لعنصر لغوي سبق ذكره داخل النص؛ فينتج طرفان للتكرار على اختلاف موقعيهما وسياق ورودهما، إذ يرتد الثاني منهما إلى الأول ويرتبط به مما يسهم في تعزيز الترابط فيما بين العناصر المتكررة وسياقها الأسلوبي الذي ترد فيه (جمعة، 2017: 411).

2. التوازن التركيبي

ومن عناصر التماسك النصّي في هذه الجمل التوازن التركيبي القائم على التنظيم والاتساق الداخلي، وقد وضح هذا في عدة مواطن من الخطبة من ذلك قولها:

طيارٌ بفِناء المعْضلة

بطيءٌ عن مُماراة الجليس

منْشئٌ لمحاسن قومه

موقورُ السَّمعِ عن الأذَاة

فالجمل الثلاث التوازن التركيبي فيها تام إذ هي مكونة من مبتدأ محذوف، وخبر وجار ومجرور ومضاف إليه، والجملة الرابعة التوازن التركيبي فيها شبه تام، إنه فنّ في نمو لا ينقطع، ومن شأن هذا الانسجام التركيبي المنظّم التعاضد مع بقية عناصر التماسك النصّي لتشكل كافة الروافد هيكلا صلبا للنص. وقد أجادت السيدة عائشة رضي الله عنها في الصياغة الفنية، العظيمة الأهمية من الثراء الجديد وبشيء من التفصيل وكثيرًا من التفضيل.

وكل ذلك الحديث عن والدها ساقها إلى هذا التأوه:

(يا طولَ حُزني وشجاي، لَمْ أَلْعُ على مثكولٍ بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لَوْعي على أبي)

ولي أن أقول إن الفصل لاختلاف الجملتين في الخبرية والإنشاء، نعم هناك فصل لكن مضمون الكلام واحد والسياق واحد، فلا تفكك ولا تباعد بل هي شيات نفسية تعتلج وتتداخل في نفس أم المؤمنين فتخرجها كما أحستها، إن الكلام ينثال منها ويتحدر ويتدفق حتى أتى بها إلى هذا التفجع: (يا طولَ حُزني وشجاي.....)

وجاءت الخاتمة شعرا لأم المؤمنين – رضي الله عنها – في قولها:

إِنَّ مَاءَ الجُفُونِ يَنْزَحُهُ الهَمْ مُ وَتَبْقَى الهُمُومُ وَالأَحْزَانُ

لَيْسَ يَأْسُو جَوَى المَرَازِئِ مَاءٌ سَفَحَتْهُ الشُّؤُونُ وَالأَجْفَانُ

والأبيات لها دورها في إحكام النصّ وقد جاءت مؤكدة على الانفعال المر والعاطفة المؤلمة التي انطلق من خلالها النص، فالهموم تنزح دمع العيون ويا ليته ينفع بل بعد كل هذا الدمع تبقى الهموم والأحزان من شدة اللوعة ومكابدة الآلام، فلا علاج لحالتها لأنها حزينة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعلى والدها – رضي الله عنه – ، فكان الختام بهذه الأبيات متسقا ومنسجما مع مضمون النصّ

ومشعرا بانتهائه فكان إحكاما وإتماما لكافة عناصر السبك الواردة في النص. فلا عناصـــر زائدة أو غير جمالية، لذلك يمكننا أن نرى عملها متعدد وواحد في الآن نفسه.

المبحث الثاني

الخطبة الثانية للسيدة عائشة في الترحُّم على والدها

ومظاهر السبك النصّي فيها

أولًا: سبب النصّ والسياق المقامي.
ثانيًا: مظاهر وأدوات السبك في النص.
أ. الوحدة الموضوعية وأثرها في سبك النص.
ب. مطلع النصّ وأثره في السبك النصّي.
ج. الربط بالإحالة.
د. الربط بالعطف.
هـ. الربط بالشرط والقسم.
و. السبك المعجمي.
ز. السبك الصوتي.

المبحث الثاني

الخطبة الثانية للسيدة عائشة في الترحُّم على والدها، ومظاهر السبك النصّي فيها

أورد ابن طيفور في بلاغات النساء قوله:

"قال المدائني عن مســـلمة بن محارب عن عبد الملك بن عمير قال: قالت عائشة يوم الحكمين:

"رحمك الله يا أبتي، فلئن أقاموا الدنيا لقد أقمت الدين حين وهى شعبه، وتفاقم صدعه، ورجفت جوانبه، انقبضت عما إليه أصغوا، وشمرت فيما عنه ونوا، وأصغرت من دنياك ما أعظموا، ورغبت بدينك عما أغفلوا، أطالوا عنان الأمل، واقتعدت مطيّ الحذر، فلم تهتضـــم دينك، ولم تنس غدك، ففاز عند المساهمة قدحك، وخف مما استوزروا ظهرُك (طيفور، 1908: 51).

أولا: سبب النصّ والسياق المقامي:

يتمثل السياق المقامي للنص المنسوب للسيدة عائشة والتي قالته يوم التحكيم، وهي لحظة فارقة ومهمة في تاريخ الأمة، وكان ذلك في موقعة صفين عام 37هـ. (الحموي، 1977: 414-415).

فبعد أن "التقى جيش علي رضي الله عنه مع جيش معاوية في صـفين، وحصـلت بينهم مقتلة عظيمة، وخارت قوى الجيشـين عن مواصـــلة المعركة، وكاد الجيش العراقي بقيادة علي بن أبي طالب أن ينتصـر على الجيش الشـامي بقيادة معاوية بن أبي سـفيان رضـي الله عنهما ثم كانت فكرة التحكيم، ومثَّل علياً – رضي الله عنه – في هذا التحكيم أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه – ومثَّل معاوية رضي الله عنهما – عمرو بن العاص – رضـــي الله عنه – واجتمعا في دومة الجندل، وانتهى الأمر إلى ما هو معروف في كتب التاريخ (ابن العربي، 1987: 177).

فبيان توقيت الخطبة، وضّـح السـياق الزمني الخطير الذي قيل فيه النصّ وهذا سيكون له أثره على تفسيره.

ثانيا: مظاهر وأدوات السبك في النصّ:

أ. الوحدة الموضوعية وأثرها في سبك النصّ:

في هذا الموقف العصيب والفتنة الشديدة، تترحَّم أم المؤمنين – رضي الله عنها – على والدها ثم تذكر صالح أعماله، ففي حين شغل هؤلاء المتناحرين بالدنيا أقام أبوبكر الدين حين تشعب وتصدع، ولئن كانوا أصغوا إلى الدنيا فقد أصغى أبوبكر للآخرة، ولقد سبق أبوبكر إلى كل خير وهم تأخروا، وصغرت الدنيا عنده، وهم عظموها، تعلقوا بالدنيا وألهاهم الأمل، وتعلق أبو بكر بالآخرة حذرا من الدنيا فلم يضيع الدين ولم ينس الدنيا لتصلحها، فحاز السبق والفضل وخف ظهره من ذنوب تحملها غيره.

وهذه المعاني كلها جاءت مترابطة منسجمة مع موضوع النصّ القائم على بيان أفضلية الصّدّيق ومباينته لغيره. فمعاني النصّ وأفكاره متجانسة ووحدة الموضوع تامة لا اضطراب فيها

وقد اشتمل النصّ السابق على العديد من مظاهر وأدوات التماسك النصّي، ومنها: المطلع واتساقه وانسجامه مع النص، وأدوات العطف (الواو) و(الفاء) وأسلوب القسم وأسلوب الشرط) وأسلوب الطباق والمقابلة، والإحالة الخارجية والقبلية، كل ذلك شكل روافد غنية لتماسك النصّ وشدّ وثاقه؛ فجاءت الوحدة بالقيمة الجمالية.

ب . مطلع النصّ وأثره في السبك النصّي:

بدأت السيدة عائشة نصها بهذه الجملة الدعائية (رحمك الله يا أبتي) وإذا ربطت هذه الجملة الدعائية بسياقها الزمني (يوم الحكمين) لأنتجت الجملة دلالة أخرى مستترة تحت هذا الدعاء وهذه الدلالة، هي التحسر على ما آل إليه حال المسلمين، والحنين إلى دولة أبي بكر وكيف كانت حكمته وشدته في مواجهة الفتن. وهذه الجملة لو وضعت بجانب كل جملة لناسبتها، فالمطلع يشد كل أجزاء النصّ إليه، ولم تتحدث عن والدها بصيغة الغائب، وإنما نادته مناداة الأحياء فأحضرت أباها لتحيل بالضمير إليه فتتنامى المعاني متماسكة مترابطة، وبناء الكلام عندها – رضي الله عنها- يأتي على هذا النحو من جملة تدعو فيها لأبي بكر أو تتحدث فيها عنه.

ج . الربط بالإحالة

اشتمل النصّ على عدد من الإحالات المتنوعة بين الإحالة الداخلية والخارجية، فالإحالة الخارجية تتمثل في قولها:

(قاموا) (أصغوا) (ونوا) (أعظموا) (أغفلوا) (أطالوا)

فلم يجر لهم ذكر في النصّ والسياق يوضح أن (واو) الجماعة تحيل إلى القوم الذين انشغلوا بالدنيا عن الدين، والسياق المقامي يدل على أنهم قتلة سيدنا عثمان – رضي الله عنه – لأنهم ما خرجوا عليه إلا لدنيا.

كما اشتمل النصّ على إحالة قبلية وإحالة بعدية والبعدية في قولها: (رحمك الله يا أبتي)

فالكاف تخاطب بها أباها ولم يجر له ذكر بعد.

والقبلية في هذه الأفعال: أقمت / وانقبضت / وشمرت / وأصغرت / ورغبت/ واقتعدت/ تهتضم/)

وكذلك (كاف) الخطاب في: دنياك / بدينك / دينك / غدك / قدحك / ظهرك.

وقد حققت هذه الإحالات مستوى من الترابط بين أجزاء وفقرات النصّ عن طريق الربط بين هذه الإحالات وما تحيل إليه. إنه رنين الابتكار والاختراع في السياق اللغوي.

د الربط بالعطف:

ظاهرة العطف من الظواهر اللغوية التي تتجاوز بنية الجملة إلى النصّ كله؛ ومركّب العطف بنية تقع داخل بنية أخرى أكبر هي النص، فتترابط المفردات والتراكيب وجمل النص؛ ومن ثمّ يكون التماسك بين أجزاء النصّ كله (يوسف، 2015، مج43).

وعليه، فقد استُعْمِل العطف كوسيلة من وسائل الربط في نص الخطبة مثال ذلك: قولها:

(فلئن أقاموا الدنيا، لقد أقمت الدين حين وهى شعبه، وتفاقم صدعه، ورجفت جوانبه)

حيث عطفت علي جملة "رحمك الله يا أبي" بفاء السببية ما يؤكد استحقاق أبي بكر لهذا الدعاء وربطت (الفاء) بين معاقد الكلام (الزجاجي، 1986: 36، 37) (الرماني، 2005: 37).

هـ . الربط بالشرط والقسم

اشتمل النصّ السابق على أسلوب قسم وأسلوب شرط، وكلاهما روافد غنية في إحداث التماسك النصّي، لاحتياجهما إلى جواب يشدّ إلى الجملة السابقة عليه، وبذلك يقوى سبك الكلام. وذلك في قولها: "فلئن أقاموا الدنيا، لقد أقمت الدِّين". لقد فاض الطبع عندها فجاءت بمقابلة تصنيف وإحساس.

وجاءت المقابلة –أيضًا– لتؤدي دورها في تماسك النصّ فالمعاني في مقابلات أم المؤمنين –رضي الله عنها– تتداعى ويدل بعضها على بعض وهذا من احترافية الكلام عند أم المؤمنين –رضي الله عنها– فهي دائما تظهر صورة أبي بكر – رضي الله عنه – مقارنة بغيره، لتتضح الصورة وتقوى، وشأنها في بيان أمجاده وكريم فعاله، أن تبين أن أفعاله لم تكن في ظروف عادية، بل كانت أفعاله وأمجاده مع معاناة ومعاندة وهو ما أمسكت به (حين) في قولها: (لقد أقمت الدين حين وهى شعبه، وتفاقم صدعه، ورجفت جوانبه) فلم يكن إقامة الدين في يسر وإنما كانت إقامته جهاد على جهاد؛ لأنها لم تكن بمعزل عمن يهدم وهكذا أظهرت (حين) تمام وكمال فعاله حين ربطت إقامة الدين بهذه الجمل المتتابعة:

(وهى شعبه، وتفاقم صدعه، ورجفت جوانبه)، فالجمل على امتدادها وكثرتها في حكم الجملة الواحدة وكانت (الواو) عاطفة بين الجمل شادة كل جملة إلى لفقها بالواو وكلها من واد واحد بل هي

أشبه بالمعاني المكررة وهذا التكرار المعنوي من أدوات التماسك الفاعلة والمؤثرة في تماسك النصّ وعدم ترهله وتفككه، وقد جسدت الدين في صورة حسية، من خلال الاستعارات المكنية حيث جعلت للدين شعبا وصدعا وجوانب فاتضحت المعاني وتمكنت واستقرت بلطف الفطنة ودقيق المعاني، وهذا كله من شأنه إقامة التماسك النصّي.

ثم جاء الفصل لكمال الاتصال في قولها: "انقبضت عما إليه أصغوا، وشمرت فيما عنه ونوا، وأصغرت من دنياك ما أعظموا، ورغبت بدينك عما أغفلوا". فكان البديع علامة من علامات التميّز في السبك والصياغة عندها.

و . السبك المعجمي

شكل التوازي التركيبي عنصرا مهما في تماسك النص: فقد جاء التوازي التركيب القائم على بناء نظم الجمل في قولها:

(وتفاقم صدعه، ورجفت جوانبه)

فقد جاءت الجمل رشيقة متوازنة – كعادة جمل أم المؤمنين – رضي الله عنها – مكونة من فعل ماض وفاعل وضمير يحيل إلى الدين.

وكذلك في قولها: (فلم تهتضم دينك، ولم تنس غدك)

توازن تركيبي فالجمل مكونة من (لم) الجازمة والفعل المضارع والمفعول وضمير الخطاب وما فيه من إحالة على أبي بكر – رضي الله عنه – وكل ذلك ساهم في إحداث التماسك وتقويته في النص، ثمّ إحداث الجمالية المباشرة واحتواء تفاصيلها.

وفي قولها (ففاز عند المساهمة قدحك، وخف مما استوزروا ظهرك) توازن تركيبي بين الجمل ببنائها على مكونات متشابهة أيضا من الفعل والفاعل المفصول بينهما بشبه الجملة الظرف في الأولى، والجار والمجرور في الثانية.

ز . السبك الصوتي

تضمنت الخطبة ألوانا من السبك الصوتى، فجاءت بعض الجمل فيها مسجوعة مبنية على حرف واحد هو (الكاف) وذلك في قولها: (فلم تهتضم دينك، ولم تنس غدك)

كما شكل السجع في قولها": (وهى شعبه، وتفاقم صدعه، ورجفت جوانبه) عنصرا من عناصر السبك حيث اتفقت الجمل فى الروي الواحد وهو حرف الهاء.

كما كانت المقابلة في هذا النصّ عنصرا أساسيا في إقامة التماسك النصّي؛ حيث قابلت بين فضائل والدها مقارنة بغيره في قولها: (فلئن أقاموا الدنيا، لقد أقمت الدين) فقابلت بين الدين والدنيا

وقولها: (انقبضت عما إليه أصغوا) قابلت بين انقبض وأصغي

وقولها: (وشمرت فيما عنه ونوا) قابلت بين التشمير والتقصير والضعف.

لقد استخدمت التناقض من المعاني لتصل إلى المعنى المطلوب؛ فتستخلص الضدّ من الضدّ، وتولّد النقيض من النقيض، وجاء كله بتوازن تركيبي وسبك صوتي.

وقولها: (وأصغرت من دنياك ما أعظموا) قابلت بين الإصغار والإعظام.

وفي مجمل مناقشتنا لخطب السيدة عائشة رضي الله عنها بلغنا حدّ الاستمتاع الذي حققه أسلوبها المتنوع المسبوك بجمالية أصيلة. وإن الاهتمام والحساسية بوالدها ليست بالأمر اليسير على الإطلاق بأن تقدم خصالًا وحقائق لسيدنا أبي بكر بروية وتدبُّر بطابع مباشر، وإن كل الأدوات المستخدمة في صياغتها للخُطب لها بالغ الأثر في الإدراك وتسهم في تشكيل المعاني الذهنية المقصودة.

الخاتمة

الحمد لله في البدء والختام، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَنْ تبِعهم بإحسان.

فقد أنهيت البحث، بعد رحلة قضيتها في تجلية معيار من أهم معايير الدراسة النصّية، وهو معيار "السبك" أو التماسك من خلال رصده، والكشف عن تجلياته ووسائله في نص لغوي عربي يمثل ذروة النصوص العربية الفصيحة، وهو نص لخطبتين من خُطَب السيدة عائشة –رضي الله عنها– في الترحُّم على والدها الصديق رضي الله عنه، وقد خلصت من هذا البحث بعدد من النتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

أولا: الدراسة النصّية فرع معرفي جديد، ونقلة نوعية في ميدان الدراسات اللغوية تنتقل من فضاء الجملة، إلى فضاء التتابع الجملي، أو النصّ بوصفه وحدة التحليل الأجدر بالعناية.

ثانيا: محاولة تطبيق منجزات الدراسة اللغوية الغربية على النصوص العربية فيه مواكبة للتطور الحادث في جميع المجالات ومنها المجال اللغوي على وجه الخصوص، والتحليل النقديّ أيضًا.

ثالثا: يعد السبك النصّي أحد أهم معايير الدراسة النصّية السبعة، وأكثرها اتصالا بذاتية النصّ، كما تمثل خطبة السيدة عائشة رضي الله عنها في الترحُّم علي والدها، نموذجا ومثالا حيا للنصّ العربي الجدير بالدراسة لغة ونقدًا وحبّذا إضافة مجالات دراسية أخرى.

رابعا: اشتمال خطبة السيدة عائشة على كثير من وسائل وآليات السبك النصّي، وتعدد مظاهره من سبك نحوي ومعجمي ولغوي وغيرها.

خامسا: ساهم المطلع، ووحدة موضوع الخطبة في اتساقها وتلاحم الأجزاء المكونة لها لغة ونقدًا.

سادسا: تعددت وسائل الربط داخل نص السيدة عائشة ويعد الربط الإحالي أظهر هذه الأنواع بأدواته المتعددة من الضمائر وحروف العطف وأدوات الشرط وغيرها. وقد ساهمت كلها في: تحقيق السبك النصّي عن طريق وجود العلاقة بين العنصر المحيل والمحال إليه وما يتبع ذلك من الترابط المفهومي في تحصيل تلك العلاقة.

سابعا: يمثل الربط العطفي ظاهرة مستمرة في نص الخطبة، ويحتل العطف بالواو النصيب الأوفر بين عدد مرات العطف داخل الخطبة.

ثامنا: احتوت الخطبة على التوازن التركيبي كوسيلة من وسائل السبك المعجمي، كان لها أثرها فى ترابط نص الخطبة، وتماسكه.

تاسعًا: العلاقة بين سبك الخطب ودلالاتها الشعورية عند السيدة عائشة، هي علاقة أوثق بكثير من مجرد نص.

عاشرًا: الدعوة إلى البحث في نصوص الصحابيات وإبراز دورهنّ في الدراسات الإسلامية والتاريخية والنواحي الاجتماعية وغيرها.

المصادر والمراجع

- البغدادي، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت 230هـ)، **الطبقات الكبرى**: ت. علي محمد عمر. ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1421هـ-2001م.
- أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت 395هـ)، **الصناعتين**: ت. علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العنصرية، بيروت ط 1419هـ.
- الإمام الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، ت. الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، القاهرة، 1405هـ-1985م.
- الآمدي، الحسن بن بشر بن يحيى (ت 370هـ)، **الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري**: ت. الشيخ السيد أحمد صقر، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994.
- الأنصاري، جمال الدين بن يوسف بن هشام المصري (ت671هـ)، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، شارع العباسية، القاهرة، (د.ن)، ج2.
- الجاحظ، عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ)، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1423هـ.
- الجياشي، ظافر (2017)، **السبك النصّي في العهد العلوي الإحالة أنموذج**، مؤسسة علوم نهج البلاغة، كربلاء.
- الحاكم النيسابوري، أبو عبدالله محمد أبو عبدالله (ت 1014هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت 321هـ)، **جمهرة اللغة**، تحقيق رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين بيروت، 1987م.
- روبرت دي بو جراند (1998)، النصّ **والخطاب والإجراء**: ترجمة: تمام حسان، ط1، عالم الكتب، القاهرة.
- أبو زنيد، عثمان (2009)، **نحو النصّ اطار نظري ودراسات تطبيقية**، عالم الكتب الحديث، إربد.
- سعد عبدالعزيز مصلوح (2003)، **في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة**: طبعة لجنة التأليف والتعريب جامعة الكويت – الكويت.
- سعيد حسن بحري (1997)، **علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات**: ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجان، القاهرة.
- صبحي إبراهيم الفقي (2000)، **علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكّية**: ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت 280هـ)، **بلاغات النساء**، شرح أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول 1908م.
- عبد الرحمن، طه (2000)، **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، المركز الثقافي العربي، ط2، المغرب
- عفيفي، أحمد (2001)، **نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النّحوي**، نشر مكتبة زهراء الشرق الأولى، القاهرة.
- **العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم**: أبو بكر بن العربي (ت 543هـ)، ت. محب الدين الخطيب ومحمود مهدي الإستانبولي. دار الجيل بيروت، لبنان. ط2، 1407هـ-1987م.
- ابن قتيبة الدينوري، محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت 376هـ)، **الشعر والشعراء**: دار الحديث. القاهرة. 1423هـ.

- محمد خطابي (1991)، **لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب،** ط1 ،المركز الثقافي العربي، بيروت.
- مفتاح، محمد ـــــ (1986)، **تحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص"**، المركز الثقافي العربي، عمان.
- ابن منظور الإفريقي، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت 711هـ)، **لسان العرب**: ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1414هـ.
- ابن هشام السهيلي، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله (ت 581هـ)، **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية**، تحقيق عمر عبد السلام السلامى . ط1، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان 2000.

الأبحاث:

- زيد، فضل يوسف (2015)، "العطف ووظائفه التركيبية والدلالية في سورة هود"، **حوليات آداب عين شمس**، كلية الآداب، جامعة عين شمس، مجلد 43.
- شحاتة، عمرو أحمد غيطي (2021)، "واو العطف وإفادة الترتيب"، دراسة دلالية على نماذج من القرآن الكريم: **مجلة الزهراء**، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة، جامعة الأزهر، ع31، http://search.mandumah.com/Record/1150292
- الناصري، غانم هاني (2023)، "**إصلاح اللفظ وتزيينه بالواو في العربية**"، **مجلة العلوم الإنسانية**، كلية التربية والعلوم الإنسانية، جامعة بابل، حزيران. Http://search.mandumah.com/Record:1395834.
- هاجر سعد جمعة (2017). "أثر التكرار في التماسك النصّي "قصة يوسف نموذجا"، **مجلة كلية الآداب**. جامعة بورسعيد، بورسعيد، القاهرة، العدد التاسع، يناير.
- يورقي، عبد الحليم، "دراسات أدبية"، **مجلة مركز البصرة للبحوث**، الخلدونية، الجزائر، العدد الرابع.